الثورة الاربعاء 23 محرم 1432هـ الموافق 29 ديسمبر 2010م العدد (16849)

عبدالسلام القيل .. وزلزال الرحيل

عمر حفظ الله علي الكميم

يقال أن المبضع يهتز في يد الجراح إذا أقدم على إجراء جراحة لمن تربطه به صلة قربى أو عروة مودة .. وأن شوكة ميزان العدالة والانصاف تضطرب في وجدان رجل القانون عندما ينظر في قضية تخص من يشعر نحوهم بعاطفة أسرية أو اجتماعية ..

وأن معايير الدقة والموضوعية تتأرجح في ضمير المحاسب عندما يجري القيود في بيانات من تجذبهم إليه مشاعره وأحاسيسه.

أما أنا فأقول أن حواسي ومشاعري ووجداني وجوارحي جميعها قد اكتسحها زلزال عنيف عندما عزمت أن أدون أصداء نبأ رحيل الشيخ بل (القيل) عبدالسلام شمسان .. خانتني السبابة والابهام عندما حاولت الامساك بالقلم وتواطأت معهما باطن كفي وسائر أناملي .. خانتني سواقي الدمع في المآقي فلا هي سكبت مكنونها فأرتاح ولا هي امسكت ما غمرها ولكن تحجرت على مساحة العينين لتشكل غشاوة لا تسمح بالرؤية ولا تحجبها .. حتى الجماد الذي استندت إليه الأوراق مع ظواهر الزلزال فلم يستقر في مكانه.

كيف أسجل مشاعري وقد رحل الأخ والصديق الحكيم الشجاع الذي لم تكن مكارم الأخلاق مجرد صفات ينعت بها وإنما مكون عضوي أساسي في نسيج ذاته يجري في شخصه وأسلوب حياته جريان الدماء في العروق.

عرفته منذ ما يزيد عن عقدين ونصف مجرد معرفة تحية ترد بأحسن منها ثم توطدت العلاقة منذ بداية العقد الجاري من خلال مجلسه الذي وصفه أحد الأذكياء بأنه سفينة نوح تجمع المستويات المتفاوتة ثقافة وموقعا ومشربا فكريا الأمر الذي شكل بيئة خصبة للجدل والخلافات بل والمشاجرات لولا أن حكمة الراحل كانت تشكل من هذا المزيج غير المتجانس جوقة موسيقية يديرها بعصا مايسترو خفية لا تسمع منها نشازا ولا قدحا أو غيبة ممقوتة أو حتى مديحا مبالغا فيه ، وقد يصغي بصمت لسجال يستمر لساعات فيختمه بل يحسمه بطرفة عين أو نادرة تلخص عموم النقاش وتفاصيله فيما لا يزيد عن دقيقتين فتكون طرفته مثل عصا نبي تلقف حجة ركيكة أو منطقاً مغلوطاً أو مزحة سمجة وتثني على الطرح المتجرد والموضوعي المفيد.

أما الشجاعة فقد صاغ لها الشيخ عبدالسلام شمسان رحمه الله مفهوما مبتكرا يتعدى الطعن بالرمح والضرب بالسيف أو حتى اطلاق نار على الخصوم فقد كان مفهومه للشجاعة هو التصريح بالرأي المناسب في الوقت المناسب ويعقبه بموقف عملي إيجابي بقدر ما هو حاسم ولو أدى ذلك إلى سخط من يسخط أو رضا من يرضى كما كان يتميز برباطة جأش لا تتوفر إلا لقلة من الرجال في اليسر والعسر والتماسك مهما اشتدت ضغوط الحياة وتسارعت إيقاعات متطلباتها التي لا تتناسب طرديا مع احتياج طوفان الماديات لكل المعاني الجميلة.، وحيث أن الشجاعة تحل أينما حل الجود فقد سمعت ممن عرفه منذ نعومة أظفاره أن الشيخ عبدالسلام شمسان منذ أن ملك أمر نفسه لم يتناول طعام الفطور في رمضان ولا طعام الغداء في غيره إلا مع ضيوفه سواء كان عددهم أقل من أصابع اليد الواحدة أو بالعشرات .. وهذا ما يعرفه عنه كثيرون ولمسته بنفسي ناهيك عن أنه عمل وبشكل مستمر على إقالة عثرة من تعثر بعوائق الدهر وانقلب به الحال من مثقفين وأدباء وذوي مناصب سابقة ولاحقة وأصدقاء وزملاء والشواهد على ذلك كثيرة.

عاش حياته تواقا لمعرفة كل جديد وتطورات الأحداث المحلية والعالمية متطلعا دوما لمعالي الأمور وأشرفها وأنبلها مفتخرا دائما بكل ما يمجد اليمن .. أما تفقده لأصدقائه ومعارفه وتعهد أحوالهم فما هو إلا نزر يسير من سجاياه الكريمة.

شاءت الأقدار أن تنعكس القاعدة فيكون الوقوع أشد من التوقع كما شاءت أن يكون رحيل الشيخ القيل عبدالسلام شمسان في يوم الاثنين الثالث عشر من ديسمبر ٢٠١٠م بفارق ثمانية وعشرين عاما وثلاث ساعات من وقوع الزلزال الذي ضرب محافظة ذمار وسائر الهضبة الوسطى في ١٩٨٢م ، وفي يوم الاثنين أيضا .. فكان زلزالا في ذكرى الزلزال الأول اهتزت به الأراضي والصخور والمنشآت وفقد أناس والثاني تزلزل فيه جبل من القيم النادرة والخصال الحميدة التي تكاد تكون معدومة في هذا الزمان فقد رحل القيل (كما كان يدعوه المرحوم الأستاذ محمد عبدالوهاب جباري) في خضم زلزال وفي ذكرى زلزال.

ولأن الشجعان يحبون الشجعان ولأن الكرام يقدرون الكرام ولأن الأوفياء يجلون الأوفياء فقد كان قدوم فخامة رئيس الجمهورية الأخ علي عبدالله صالح إلى مسقط رأس الراحل الكبير لفتة تتسامى مع أعلى ذرى الأصالة والكرم الإنساني وكان وقوف فخامته في الصف الأول من المصلين على روح الفقيد الطاهرة وسيره على رأس الجموع الغفيرة بلسما شافيا وموقفا نبيلا أزال به فخامته أي آثار لزلزال الرحيل ومبادرة تجلى فيها الزعيم الإنسان بما لا تستوعب الكلمات وصفه وتجاوز بشموخه جبل سمدان وما جاوره من شوامخ.

فله خير الجزاء من الله وخير الثناء من الناس.

سلام الله عليك ياشيخ عبدالسلام وإن كنت لا أزكي على الله أحدا إلا أنني على يقين أن من ستلقاه هو السلام الكريم الذي لا يضيع أجر من أحسن إليه.

(المشترك) .. الرفض خوفاً من نتائج القادم

طه العامري

يبدو أن (أحزاب اللقاء المشترك) ترصد بدقة نتائج الانتخابات في بعض الأقطار العربية الشقيقة ومن ثم قررت البدء في خطاب الابتزاز والصخب والضجيج على قاعدة المثل القائل: (ادعي له بالموت يرضى بالحمى) إذ بدت (أحزاب المشترك) بكل معتقداتها وتجنحاتها شبه مسعورة من قرب موعد الاستحقاق..

فراحت تطلق (شروطها) المقرونة بكثير من التهديد والوعيد وهي تدرك جيدا أن كل ما تقوم به لن يحقق لها أكثر من صدى إعلامي لن يؤثر على مجريات الاستحقاق – داخليا – وخاصة ما يتصل بدور وموقف الناخب اليمني الذي لن ينجر قطعا وراء صخب لا جدوى منه.

عودتنا (أحزاب المشترك) عليه أمام كل استحقاق دستوري أو فعل ذي تأثير على خياراتنا الوطنية التي تمضي بعيدا عن تأثير وصخب (أحزاب المشترك) خاصة وهذه الفعاليات لم تكن يوما حريصة على هذا المسار ولا على مشاعر الشعب وإن كانت لم تغفل يوما كيفية المتاجرة بمشاعر الشعب واستغلال معاناته وأزماته وتوظيفها من أجل تحقيق مكاسب سياسية.

نعم فأحزاب اللقاء المشترك وقفت مليا أمام نتائج انتخابات بعض الدول العربية وقررت حسم أمرها ومن ثم البدء في رحلة سياسية تحاول من خلالها (أحزاب المشترك) استباق نتائج الانتخابات المقبلة من خلال تشكيل صورة هلامية لنتائجها حتى تبرر فشلها المرتقب وحتى تخلق مفاهيم مسبقة لنتائج تدركها هذه الأحزاب من خلال معرفتها الجيدة بقدرتها وثقلها على الخارطة الانتخابية والجماهيرية ولهذا يأتي هذا السعار ويرتفع سقف المطالب تعبيراً عن حالة إحباط مسبقة وتجميدا لمعاناة سياسية تعيشها هذه الفعاليات الغارقة في همومها الخاصة بعيدا عن الهموم الوطنية وعن معاناة الناخب الذي لم يحظ بأهمية تذكر من قبل هذه الفعاليات إلا من خلال بعض المواقف التي تعمل من خلالها هذه الفعاليات على توظيف واستغلال الهموم الحياتية والمعيشية والأمنية للمواطن ومن ثم تدفع بها على طاولة مساومة السلطة والنظام والحزب الحاكم وتسويق كل ذلك إعلاميا ورفع رصيدها السياسي من خلال بعض الوسائط الإعلامية والصالونات السياسية والندوات النخبوية بعيدا عن المسرح الجماهيري الذي تكاد تجهله (أحزاب المشترك) وتجهل طريقة تفكيره وما هي قناعته.

نعم لن أكون خائبا لو قلت أن نتائج الانتخابات في بعض الدول قد شكلت صدمة فعلية على (أحزاب المشترك) التي لم تكن تتوقع نتائج تلك الانتخابات التي بصورة أو بأخرى تعكس في جوهرها قوة وفعالية أحزاب المعارضة وليست المعارضة في بلادنا وخاصة تلك المنضوية تحت راية (المشترك) تشكل بدورها وفعالياتها وطرق تفكيرها نسخة متاهية من المعارضة في تلك الدول وإن اختلفت رؤية وقناعات الأنظمة الحاكمة وتفاوتت درجة الحماس للديمقراطية بين نظامنا والأشقاء العرب الذين يأخذون بذات النهج الديمقراطي ولكن وفق محاذير وشروط لا يأخذ بها نظامنا السياسي الذي لم يخضع يوما الديمقراطية لمواصفات محددة بل لا يزال فخامة الأخ علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية – حفظه الله – يعد يدا بيضاء للجميع يدعو بكثير من الشفافية والمصداقية الجميع إلى تبني الخيار الديمقراطي فكرا ومنهجا وسلوكا والعمل تحت بيرق الديمقراطية والتعبير عن همومهم وتطلعاتهم بطرق سلمية بعيدا عن ثقافة الكراهية والكيد والحقد والإخلال بالأمن والاستقرار والسكينة أو العزف على منظومة النعرات الطائفية والمذهبية والمناطقية ، بل إن فخامة الأخ الرئيس جدد في آخر خطاب له الدعوة لأحزاب اللقاء المشترك للحوار والشراكة وتفعيل مسارنا الديمقراطي والاستعداد للاستحقاق الانتخابي القادم باعتباره استحقاقا دستوريا وقانونيا وبالتالي لا يجب تجاوزه أو الانتقاص منه أو التحايل على زمن استحقاقه حتى لا نجد أنفسنا في مربع (الفراغ الدستوري) الذي من شأنه أن يدخلنا والوطن في دائرة العبث وعدم الاستقرار ، ويبدو أن المشترك ومن خلال مواقفه وخطابه وسلوكه يحاول أن يوصلنا إلى مربع الفوضى وهو فعل لم يتمكن المشترك من تحقيقه نظرا لافتقار المشترك لكثير من العوامل الذاتية والموضوعية التي تمكنه من وضع البلاد في دائرة الفراغ الدستوري ، لأن من يملك القدرة على هذا الفعل لم يكن ليتخوف من إجراء الانتخابات في موعدها ولن يطالب بتأجيلها متذرعا بكثير من المطالب والشروط التعجيزية التي تكشف حقيقة قوة تأثير هذه الفعاليات على إرادة الناخب ، بل لو أن أحزاب اللقاء المشترك التي تهدد بالنزول للشارع لو كانت تملك القدرة والتأثير على الشارع ما طالبت بتأجيل الانتخابات بل لطالبت بعكس هذا وهو التسريع بإجراء الاستحقاق الانتخابي أو هكذا يفترض ، لكن من يطالب بالتأجيل أو يهدد باللجوء للشارع وإحداث الفوضى والاختلال فهذا لا يملك قوة جماهيرية بل ربما يملك (مجاميع) قد يسخرها باتجاه قطع الطرق وإحداث قلاقل وهذا السلوك بمقدور بضعة أفراد القيام به لمجرد لفت الانظار وإعطاء مادة إعلامية للوسائط الإعلامية المتربصة الباحثة عن أخبار مثيرة مهما كانت فحواها ومهما كانت دوافعها ومبرراتها وهذا ما عودتنا عليه أحزاب اللقاء المشترك التي يهمها أن تبقى دوما في دائرة الضوء ومحل متابعة وسائل الإعلام بغض النظر عن نسبة وجود هذه الفعاليات في الذاكرة الجماهيرية من عدمه.

على خلفية كل ما سلف فإن أحزاب اللقاء المشترك تريد ضمانات تمنحها حضورا في خارطة المرحلة القادمة وهذه الضمانات لا تريدها من الناخب الوطني الذي لا تثق به أحزاب اللقاء المشترك ولكنها تريد هذه الضمانات من فخامة الأخ الرئيس ومن الحزب الحاكم أي أن المطلوب بلغة المشترك (تقاسم محاصصة) وتشكيل البرلمان القادم قبل الانتخابات وبعيدا عن إرادة الشعب أو عن قيم ومفاهيم الديمقراطية.

بيد أن هذا السلوك ليس غريبا ولا جديدا عن أحزاب اللقاء المشترك التي عودتنا من تقاطعت بنا السبل عام ١٩٩٣م بعد حوارات (دار الحكمة) التي انتهت بأن راحت أحزاب اللقاء المشترك في طريق السفسطائية الديمقراطية المثيرة ومن يومها وحتى اليوم لا تزال هذه الفعاليات غير قادرة على فهم المعادلة الديمقراطية بمعزل عن قناعتها المكتسبة التي هي قناعات غارقة في (الماضي الشمولي) بل لا تزال أحزاب اللقاء المشترك تجتر ذلك الماضي بكل عفانته وتحاول جاهدة إخضاع المسار والتجربة والخيار لمفهومها القاصر والمناقض لكل قيم ومفاهيم الديمقراطية وقيمها وثقافتها إننا نتمنى على هذه الفعاليات أن تعي وتصحو من سباتها وأن لا تخضع المسار وخياراته لعبثها ومزاجيتها ولثقافاتها الشمولية التي ما برحت تتخندق على متاريسها بحثا عن مكاسب غير شرعية بطرق غير شرعية.

مشاهد يومية

عبدالرحمن بجّاش

هل لأنه يمنيٌ ... قُتِل؟!!

صالح عبدالجبار سعيد عقلان القدسي، اسمٌ لجندي خَدَم الوطن في أبين.

بعد أن ينهي دوامه يمتطي درّاجته النارية ويذهب لطلب الرزق، استأجره مسلّح - حسب الخبر - إلى منطقة العمودية في قرية سحار، وقتله.

لم يفكر الجندي الطيب الباحث عن رزقه أن هذا الراكب يمكن أن يقتله، أولاً هو لا يعرفه، وليس بينهما ما يؤدي إلى قتل، وليس هناك ما يخيفه حتى يسأله : لِمَ أنت مسلح؟ وإلى أين أذهب بك؟

فقط نظر إليه على أنه رزق كما هم الركّاب الآخرون، ولم يفكر أو يسمح لنفسه مجرد التفكير أن هذا الراكب قاتل وسينتزع منه حياته.

ذهب به بأمان الله إلى حيث طلب، فقتله.

أي بشاعة وأي جرم هذا؟ أن يقتلك إنسان لا تعرفه، لا يعرفك، وليس هذا شرطاً لأن يقتلك أو لا، إذ ليس بينكما شيء.

غصة تكاد تفتك بي، وتشعل النار في روحي على ما حصل، إذ ما ذنب هذا الذي يبحث عن رزقه وأهله، فينتشر في الأرض بأمان الله ليأتي أحدهم لينتزع منه حياته بدون ذنب ارتكبه.

كنت - ربما - سأجد عذراً لو أنه - مثلاً - وهو في الخدمة، سأقول إن هؤلاء لهم موقف من الحكومة، خارجون على القانون، ارتكب أحدهم جريمة وعلى الحكومة معاقبته شرعاً وقانوناً، برغم أن القتل لا يقر لا ديناً ولا خُلقاً، لأننا لسنا في حالة حرب، ولسنا أطرافاً حتى نبرر أن الدم يجر الدم.

ذلك الذي قتل إذا كان ضحية للشحن الذي يمارس من قبل «الحراك»، فليذهب الحراك وتحريضه ضد مواطنين إلى الجحيم، وإن كانت القاعدة فلتذهب إلى الجحيم هي الأخرى، وإن كان مجرماً عادياً هو القاتل فليخضعهم القانون أمامه جميعاً، ويقول القاضي ما يقوله شرعاً وقانوناً.

ما ذنب صالح عبدالجبار أن ترك قريته «المكيشة» وذهب يبحث عن رزقه وأسرته وأولاده إن كان قد تزوج أو ذهب ليجمع تكاليف عرسه وبناء حياته الجديدة؟ ما ذنبه؟ بأي ذنب يقتله ذلك الذي لا أخلاق له ولا عُرف له ولا دين، وليعلم هؤلاء الذين يصدرون المشاريع تلو المشاريع بدول جديدة وأعلام جديدة على الورق ويختارون أناشيدهم، ليعلموا أنه إذا كان الهدف من قتل شاب مسكين آمن يبحث عن رزقه، سيؤدي إلى انفصال يتمنّونه، هم واهمون واهمون، لأننا ببساطة سنحارب من أجل الوحدة، لن نقاتل - فقط - بل سنحارب من أجل وجودنا ومستقبل أطفالنا، فاليمن الذي سنحارب من أجله يستحق هذا، ويستحق أن نقدم حياتنا ثمناً من أجله.

إن التحريض على أن هذا شمالي وذاك جنوبي عمل خسيس، بل وجبان، لأن وقوده - هذا لأصحاب المشاريع الصغيرة، كمشروع العطاس أو البيض أو غيرهما - البسطاء من الناس، فإذا كان في عقولهم بقايا من عقل أن يشتغلوا - كما يقول أشقاؤنا المصريون - على كبير، أي أن يواجهوا برجولة إذا كان ثمة رأي لهم أو مطلب وتحت سقف اليمن، أما أن يتسللوا تحت سقف دماء أمثال هذا الشاب فهو عمل الجبناء ليس إلا.

وإذا كانت القاعدة هي مَنْ قتلت هذا البريء وتظن أنها ستدخل الجنة والثمن دمه، فأقول إنكم عدميون إلى العظم، وبالعكس، ستنالون لعنة الناس إلى أبد الآبدين، وفي الأول والأخير أنتم لا مشروع لكم ولا يدري المرء ماذا تريدون.

الآن على الحكومة ألا تدع هذا الحادث الحقير يمر مرور الكرام، فبحق الشرع وبحق القانون، ولكي لا تهدر الهيبة العامة أكثر مما هي مهدورة، ويكفي ما حصل لصاحب دكان «الحلويات» الذي لا يزال قاتله طليقاً إلى اليوم، باسم الناس، باسم مستقبل الأطفال، نطلب من الحكومة أن تأتي بهذا القاتل إلى القضاء ليقول فيه كلمته، وإن تخاذلت لحسابات ما، هي تراها مبررة فنقول عليها وعلينا السلام، وَلِمَنْ قتل هذا الشاب الذي لا ذنب له حتى إذا هو جندي، فهو جندي في أمن أو جيش اليمن، وليس في أمن وجيش دولة معادية، ولأي كان مثله القاتل أقول له وَلِمَنْ حرّضه مباشرة أو بالتحريض العام أن يذهب هو وأصحابه، سواءً كانوا حراكاً أم قاعدة أم أصحاب مشاريع صغيرة لا علاقة لليمن بها، اذهبوا إلى الجحيم.

○ ○ ○ ○

شكراً للجيّد

□ العقيد أحمد الجيّد، مدير مباحث محافظة الحديدة، عرف كيف هي الشرطة وجه آخر للعلاقة الطبيعية بين الناس وبين أجهزتها، فبزيارته لطرف مكلوم في قضية جنائية أعطى الدليل أن الشرطة تمثل القانون والمجتمع، وليست طرفاً خصيماً للناس.

شكراً للعقيد الجيّد.

فاكس : (679179) bajash 22 @ gmail.com

إعلان